وزارت علوم، تحقیقات و فناوری
پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
مدیریت تحصیلات تکمیلی
پژوهشکده ادبیات

گروه: زبان و ادبیات عرب

پایان‌نامهٔ کارشناسی ارشد رشته زبان و ادبیات عرب

(دراسة في نظرية الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي)

استاد راهنما :
دکتر فیروز حریرچی

استاد مشاور :
دکتر علیرضا میرزا احمد

پژوهشگر:

راضیه نظری

آبان ماه ۱۳۹۰

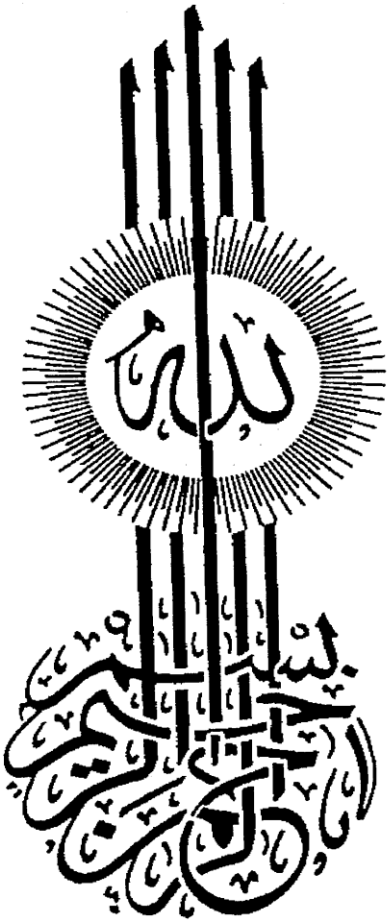
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الكلمات الرئيسة: الأدب، الأدب الجاهلي، الشعر، الشعر الجاهلي، الإنتحال

إنّ لكلّ أمّة و لكلّ شعب من شعوب العالم أدباً يمثّله، و ما الأدب إلاّ حصيلة أفكار و عقائد تلك الشعوب و الملل. و الأدب العربي هو أحد تلك الآداب، الذي امتاز على غيره بعراقته و أصالته و متانة ألفاظه و دقّة تعابيره و براعة صوره البلاغية، و قطع شوطاً كبيراً على مدى القرون منتقلاً من جيل الى جيل، ليصل الى عصرنا الحاضر، و كسائر الآداب لم يسلم في مسيرته التاريخية من الإنحرافات و التشويهات و التضليل.

و يتميّز العصر الجاهلي بتراثه من حيث الأفكار و الآداب و العادات و التقاليد الخاصة به و بمعاصريه، و يتمثّل هذا التراث العريق بإطار الأدب النثري و الشعري و غيره من روافد هذا الفن. و أشعار هذه الحقبة الزمنية التي تُعَدُ تراثاً غنياً للأدب الجاهلي، تفتح لنا نافذة جديدة للتطلّع على هذه الحضارة العظيمة التي كادت تضيع على مرّ الأيام و الدهور.

و بالنسبة الى الشعر الجاهلي الذي يشكل الجزء الأكبر من آداب ذلك العصر، يمكننا التصريح اليوم، أنه من الممكن جداً أن نحصل من خلاله على صور واضحة تمثّل أفكارا و تاريخ العصر الجاهلي.

و الهدف من التحقيق هو دراسة موضوع انتحال الشعر الجاهلي من وجهة نظر الدكتور طه حسين، و في هذا المسار بذلنا غاية جهدنا للردّ على الشبهات التي يطرحها طه حسين، و من خلالها درسنا مقتطفات من مناهل افكاره و آراءه. لأن لهذا الأديب و الناقد الكبير آراء و نظريات في هذا المجال تستحق إفراد مساحة خاصة بها لدراستها و تقييمها بصورة تليق بها و بكاتبها. و ما هذا البحث في الحقيقة إلاّ مدخلاً للباحثين المعاصرين الذين يسعون لتقديم دراسات اعمق و أكمل عن العصر الجاهلي و آدابه.

أضف الى ذلك أنّ هذا البحث يقدّم المؤهلات اللازمة لمقارنة الأدب الجاهلي بآداب العصور المختلفة الأخرى. و هناك طبعاً الكثير من الآراء و النظريات المطروحة التي تستحق الدراسة و التحقيق فيها. و من أهم نتائج هذا البحث يمكن الإشارة الى النقاط التالية:

لم تكن غالبية ألفاظ الأدب الجاهلي مجعولة كما يدّعي الدكتور طه حسين. و قد اعتمد هذا الأديب في برهنة دعاويه و آراءه على اسلوب النقد التاريخي.

في حين تعتبر الآثار الأدبية بمثابة تاريخ للشعوب على مدى التاريخ، و عليه يجب صقلها و تهذيبها من الخرافات، و بذلك يتجلى لنا التاريخ تجلّياً واضحاً.

و قد سجّل الرواة و الشعراء آثارهم الأدبية للعصر الجاهلي، و غالباً ما كان هؤلاء ينتمون الى الطبقة الراقية من المجتمع الجاهلي. و تطورت سبل المحافظة على هذه الآثار شيئاً فشيئاً في العصور التي تمتّع الرواة بأساليب جديدة في اسلوب الكتابة عمّا كانوا عليه. و على أي حال، لم تكن جميع الآثار الأدبية مصونة من التعرّض للتحريف أو التشويه.

و اعتمدنا في هذا البحث على الأسلوب الوصفي و التحليلي، و كان جُلّ اهتمامنا و هدفنا هو دراسة نظرية الأديب الكبير الدكتور طه حسين دراسة نقد و تحليل معاً. و نأمل أن يكون هذا البحث مقدمة لبحوث أوسع و اكثر شمولية في المستقبل، و الله وليّ التوفيق.

فهرس المحتويات

ملخص البحث ١

فهرس المحتويات ٣

المقدمة ٨

الفصل الأول:

مـــا الأدب؟

تعريف الأدب لغة ١٤

تعريف الأدب اصطلاحاً ١٦

أقسام الأدب ١٦

الف- الادب الإنشائي: ١٨

- الشعر ١٨
- النثر ٢٢

الفروق بين الشعر و النثر ٢٤

ب- الأدب الوصفي ٢٦

الفصـــل الثـــاني:

ماهــو النــقد؟

تعريف النقد لغة ٢٨

تعريف النقد اصطلاحاً ٢٨

وظائف النقد ٢٩

أنواع النقد ٢٩

النقد الأدبي عند العرب ٣٠

بواعث نشوء النقد الأدبي عند العرب ٣٢

مناهج النقد ٣٥

١. المنهج الفني ٣٦

٢. المنهج التاريخي ٣٧

٣. المنهج النفسي ٣٩

٤. المنهج الاجتماعي ٤١

٥. المنهج البياني ٤٢

٦. المنهج المتكامل ٤٢

الفصل الثالث:

طه حسين الناقد:

١. حياته:

الف- ميلاده و نشأته ٤٥

ب- في الأزهر ٤٦

ج- في الجامعة ٤٨

د- في السوربون ٥٠

٢. مصادر تكوينه الأدبي و الفكري: ٥١

١. العنصر المصري

الف- في صعيد مصر ٥١

ب- في المدينة ٥٢

٢. العنصر الإسلامي:

الف- في القرية ٥٣

ب- في الأزهر ٥٣

ج- في الجامعة ٥٤

٣. العنصر الأجنبي ٥٥

٣. آثاره ٥٦

الفصل الرابع:

طه حسين و الأدب الجاهلي

تاريخ الاستشراق ٦٠

دوافع الاستشراق ٦١

منهج الشك الديكارتي في رؤية طه حسين..... ٦٢

اختيار المنهج الديكارتي لدراسة الشعر الجاهلي

الف- أصول هذا المنهج في الدراسات القديمة ٦٥

ب- دراسات المستشرقين تعمّق شک طه حسين في الشعر العربي القديم ٦٨

مبادئ الطريقة الديكارتية في كتاب (في الأدب الجاهلي) ٧٥

١. الدين ٧٨

٢. السياسة ٧٨

٣. الإقتصاد ٧٩

٤. الحياة النفسية و العقلية ٧٩

٥. اختلاف اللغة الحميرية و العدنانية ٨٠

٦. سيادةلهجةقريش ٨٢

العوامل التي أدت إلى الوضع و النحل في الشعر الجاهلي ٨٢

١. السياسة ٨٣

٢. الدين ٨٤

٣. القصص ٨٧

٤. الشعوبية ٨٨

٥. الرواة ٨٩

الفصل الخامس:

الإجابات عن أسئلة طه حسين

جذور الشعر الجاهلي ٩٨

مراحل رواية و تدوين الشعر الجاهلي ١٠٢

١. **الدين في الأشعار الجاهلية** ١٠٨

٢. **تجليات الصور الاجتماعية و السياسية في الشعر الجاهلي** ١٢٤

٣. **الحياة الاقتصادية في الشعر الجاهلي** ١٣١

٤. **الحياة العقلية و النفسية للعرب في الشعر الجاهلي** ١٤٨

٥. **اختلاف اللغة الحميرية و العدنانية** ١٥٣

٦. **سيادة لهجة قريش** ١٥٥

الخاتمة..... ١٦٢

المراجع ١٦٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله أجمعين.

أما بعد...

فإذا ما نظرنا الى موضوع الشعر الجاهلي بدقّة و تمحيص، نجد أنه يمتاز بأهمية كبيرة من عدّة جوانب؛ و هو يُعدُّ نوعا من أنواع الدراسات الأدبية و التاريخية.

الأدب هو «كل رياضة محمودة تؤدي بالإنسان إلى الفضائل، و هذه الرياضة كما تكون بالفعل و حسن النظر و المحاكاة، تكون بمزاولة الأقوال الحكمية التي تضمنتها لغة أيّ أمة.»(الإسكندري، د.ت:ص: ٣)

تتمتّع جميع الأقوام بالأدب على مدى الدهر، وكل ما يُسَمّى أدباً اليوم، يعني جميع الآثار التي خُلقَت في قرون ممتدة. أما النقطة المهمة فهي أنّ كثيراً من هذه الآثار قد انتقلت انتقالاً شفوياً بين الأجيال المختلفة، و لازم هذه الآثار في هذ الانتقال أخطار عظيمة أهمها النسيان.

و مع رواج الخط و الكتابة استطاع الإنسان أن يتغلّب على مشكلة النسيان الى حدٍ كبير. و عليه نظّمت الآثار الأدبية حسب مواضيعها، أو تاريخ تدوينها أو معايير أخرى و قد حفظ بهذا الشكل الكثير من التراث الأدبي. أما النقطة المهمة فهي صحّة هذا التراث الذي انتقل قروناً بشكل شفوي ثمّ حفظه بشكل مكتوب.

و الأمور التي أشرت إليها كانت بمثابة المسألة التي تشمل جميع آداب الأقوام المختلفة و لم يكن الأدب العربي مستثنى عنها. أمّا أهمية هذه المسألة في الأدب الجاهلي للعرب فهي أكثر. فقد ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية و نزل القرآن فيها باللغة العربية و باللغة التي نراها في الآثار الباقية من العصر الجاهلي. و هذا الأمر يحثّ العلماء على البحث في صحّة هذه الآثار.

و قد أحدث الإسلام ثورةً عظيمة و قلّب جميع جوانب حياة العرب و موازينها، فانتشرت الكتابة بعد ظهوره بين جميع الناس انتشاراً عاماً. و قد خضعت الكثير من القبائل والملل الى هذا الدين الجديد الناطق باللسان العربي المبين، وعليه بدت الحاجة الى تعلّم اللغة العربية لدرك مفاهيمه و تعاليمه. و كان لهذه الظاهرة أثراً كبيراً لتحوّل واسع في هذه اللغة. و أصبحت المدن المتحضّرة مركزاً لالتقاء الثقافات و ما تتركه من آثار و

تغييرات على اللغة. و لحفظها من الضياع ذهب الرّواة إلى البادية ليتعلّموها من البدوي الذي لم يتأثر بعد بتلك الحضارات أصول هذه اللغة العريقة و بلاغتها.

يجب علينا ألاّ نغفل عن الصراعات بين قبائل العرب و الصراعات الناجمة عن الظاهرة الشعوبية بعد الإسلام، فقد كان العرب يسعون في تثبيت هذه الفكرة بأنهم كريموا النسب، و أن يجعلوا هذا الأمر ميزة لتفوّقهم على سائر المسلمين، و من جانب آخر الشعوبية التي كان يسعى أصحابها بإظهار مفاخرهم و تاريخهم البطولي، و كان لهذا كله الأثر الكبير على الشعر. و بعد أن انقضت جميع هذه الصراعات، أصبحت جميعُ الآثار المكتوبة تُعرَفُ بالأدب الجاهلي و إن خالف بعض العلماء هذا الإعتقاد، كابن سلام.

و بعد القرن التاسع عشر للميلاد أقبل المستشرقون على المجالات المختلفة العلمية و خاصة الأدب منها و لهم بواعث مختلفة في هذا الإقبال، و كان عاقبة هذا الأمر هو إدعاء بعضهم كمرجليوث إلى أنّ هذه الآثار المعروفة بالأدب الجاهلي قد وُضِع كله بعد الإسلام.

و قد أدى دخول المستشرقين في مجال العلم و الأدب الى تحوّل عظيمٍ في هذا المجال، مما جعل الباحثين و العلماء أن ينظروا إلى هذا الموضوع بنظرة جديدة. و في هذا الصدد أصدر طه حسين_ الذي كان متأثّراً بهذه الفكرة_ اعتقاده في« في الأدب الجاهلي»، و كان ذلك سبباً في ظهور بلبلة و جدال شديدين في الساحة العلمية و التقليدية.

و يعتقد طه حسين في كتابه المذكور أن أكثر هذا الأدب (الأدب الجاهلي) قد اختُلق و تم وضعه بعد الإسلام و قد أبدى آراءه على صحة إدّعاءه هذا، و أخذ بطرح الأسئلة للقارئ ليزيده شكاً في صحة هذا الأدب.

إن مناقب طه حسين كثيرة، فهو الأديب و الناقد، و هو باعث النهضة النقدية في العصر الحديث، و عليه تبدو ضرورة التعمّق في آرائه و البحث عن بواعث نشوء هذه النظرة.

يتمتّع طه حسين في بحثه بمنهج الشك الديكارتي و يوضح أساس هذا المنهج قائلاً:«... أن يتجرّد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل و أن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن ....» (حسين، ١٩٥٨:ص٦٨)

يعتقد طه حسين بأنّ العقائد السائدة بين الناس عن الأدب الجاهلي أكثرها خاطئة و هي بمثابة أغلال تمنعنا من الوصول إلى الحقيقة البحتة، و يعلّل اعتقاده هذا، بأن المعلومات الواصلة الينا لم نحصَل عليها عن طريق علمي صحيح بل هي مجموعة من الأخبار التي قد تمّ وُضعها على مدى التاريخ.

كما يعتقد أنه لم يوجد في التاريخ راوياً صادقاً و لكل منهم آفة كعدم العلم و الإطلاع أو الطمع أو عدم الأهلية.

و يمكنني أن أطرح الموضوع بشكل آخر،هل ما نعرفه اليوم بالأدب الجاهلي هو أدب حقيقي أم هو أدب موضوع و منحول؟

و الموضوع المهم لإقامة البحث عليه في هذه الدراسة هو برهنة صحة الأدب الجاهلي لأنه أساس لغة الإسلام و أصله، و هو في الحقيقة تاريخه و معدنه، و عليه يجب إثبات صحّة هذا الأدب ليتسنى لنا معرفة أثر الإسلام و القرآن على اللغة و آدابها.

.....

أمّا أهدافي الرئيسة التي أخذتها بعين الإعتبار خلال دراستي هذه هي :

- الوقوف على آراء القدماء قديماً و حديثاً في موضوع الشعر الجاهلي و بيان تطور عقيدة وضع الشعر الجاهلي من الماضي حتى العصر الحديث.
- دراسة موضوع الشك.
- الوصول إلى كيفية تأثر طه حسين بالمنهج الفكري الديكارتي.
- دراسة أثر المستشرقين في منهج طه حسين الفكرية
- دراسة مسألة رواية الشعر الجاهلي في ذاك العصر و العصور التالية لها.
- دراسة العقائد الجاهلية و الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العقلية و النفسية من خلال الأشعار الجاهلية.

الدراسات السابقة:

لا شك أنّ كتبَ القدماء و المحدثين قد تناولت مسألة صحّة الأدب الجاهلي و تحدّثت عنها و سعى كل عالم و ناقد في توضيح البحث و كشف الحقيقة، ولكن الأمر الذي غفل عنه الكثير، هو الشك الديكارتي، و في الحقيقة نلمس هذين الأمرين في آراء طه حسين عن الأدب الجاهلي: الأول الشك الديكارتي و الثاني الأسئلة و الشكوك التي طرحها طه حسين _ متأثّراً بهذا المنهج الفكري_ في الأدب الجاهلي.

و لاحظت اهتمام أكثر الكتّاب في نقد آراء طه حسين في الموضوع الثاني في حين أن البحث عن المنهج الفكري لطه حسين يعتبر بحثاً هاماً جداً، هذا من جانب الكتب و من جانب الأطروحات و الرسالات، لم أجد أطروحة أو رسالة عُنيت بهذا البحث من هذا المنظار. و على كل حال يمكنني أن أعرض نواقص الآثار الموجودة في هذا الموضوع بالشكل التالي:

- أكثر الآثار قامت بالرّد بإجابات موجزة على تساءلات طه حسين.
- لم تحظ هذه الآثار بأجوبة كافية على الأسئلة المطروحة، في حين كان تأكيد طه حسين على عدم وجود صورة واضحة في الشعر الجاهلي في المجالات الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية
- لم يكن الإهتمام بموضوع الشك وافياً في هذه الآثار.

و في هذا البحث، عملت جاهدة على رفع هذه النواقص الى أكبر حدٍ ممكن.

أما منهج البحث فهو:

- جمع المعلومات المتعلّقة بالموضوع بترتيب عناوين الفصول و المباحث و إستنباط كلّ ما هو مفيد.
- الدقة و الأمانة في عرض المعلومات المطروحة.
- مراجعة المصادر الرئيسة و أمهات المعاجم (لسان العرب، تاج العروس، جمهرة اللغة و...) و أمهات الكتب الأدبية (الشعر و الشعراء، الأغاني و دواوين الشعراء و..) و المرجع الإلكتروني للحصول على الأشعار التي تمتّ بصلة بموضوع الردّ على شكوك طه حسين.

اقتضت طبيعة البحث في هذه الرسالة إلى تقسيم البحث إلى مقدّمة و خمسة أبواب و خاتمة.

الفصل الأول: ما الأدب: في هذا الفصل قمت بعرض تعاريف الأدب لغة و إصطلاحاً و أنواعه و عليه ينقسم إلى أربعة بحوث: يتطرّق البحث الأول إلى تعريف الأدب و تطور الكلمة على مدى التاريخ. و يتطرق البحث الثاني إلى آراء الأدباء المختلفة حول موضوع الأدب، و في البحث الثالث ذكرت أقسام الأدب كالإنشائي و الوصفي و من ثم ذكرت تعريف كل منهما إضافة إلى تعاريف أقسام الأدب الإنشائي كالشعر و النثر و تاريخهما في الأدب العربي منذ القدم، و الفروق بينهما.

الفصل الثاني، ما هو النقد: في هذا الفصل قمت بتبيين عدّة تعاريف للنقد و مكانته في الأدب العربي و بذلك ينقسم إلى سبعة أبحاث. البحث الأول: في هذا البحث قمت بتعريف كلمة النقد و في البحث الثاني قمت بدراسة مصطلح النقد و في الثالث أشرت إلى وظائف النقد، و في الرابع أشرت إلى أنواع النقد الأدبي،

و سلطت الضوء في البحث الخامس على النقد الأدبي عند العرب و في السادس ذكرت العوامل التي أدّت إلى نشوء النقد الأدبي بين العرب. و في البحث السابع و الأخير ذكرت مناهج النقد.

الفصل الثالث، طه حسين الناقد: في هذا الفصل قمت بسرد ماهو مهم و ضروري عن طه حسين الناقد العظيم المعاصر، و قد تمّ تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة أبحاث: البحث الأول يعطينا صورة موجزة عن حياته، و جلّ اهتمامي فيه هو تبيين العوامل الأربعة التي أثّرت في شخصية طه حسين. أي: ميلاده و نشأته و الجامعة و الأزهر و السوربون. و في البحث الثاني أشرنا إلى مصادر تكوين شخصيته الفكرية و الأدبية كما قمت بتبيين المصادر الثلاثة لهذا التكوين: العنصر المصري، و العنصر الإسلامي و العنصر الأجنبي. و يختص البحث الثالث بآثار هذا الناقد.

الفصل الرابع، طه حسين و الأدب الجاهلي: يصف لنا هذا الفصل المنهج الفكري لطه حسين و تطور هذا المنهج على مدى التاريخ و كيفية تأثيره على طه حسين وبيان آرائه في الأدب الجاهلي. و هو بدوره ينقسم إلى ثلاثة بحوث.في البحث الأول إشارة إلى المستشرقين، تاريخهم و أهدافهم و وصولهم إلى العلوم. في البحث الثاني، قُمتُ بتقديم تعريف لمنهج الشك الديكارتي و بيان أصول هذا المنهج عند علماء العرب القدماء و المستشرقين. و في البحث الثالث ذكرت آراء طه حسين في الأدب الجاهلي تحت العناوين الستة.

الفصل الخامس، الرّد على أسئلة طه حسين: الخطة الأصلية للفصل هي الإجابة عن الأسئلة التي طرحها طه حسين و ينقسم إلى ثلاثة أبحاث: و لأهمية البحث بدأت بدراسة جذور الشعر العربي و يهتم البحث الثاني إلى رواية و تدوين الشعر الجاهلي و في البحث الثالث أجوبة على أسئلة طه حسين و الرّد على شكوكه بشكل علمي .

الفصل الأول:

مـــا الأدب؟

تعريف الأدب لغةً:

«جاءفيلسان العرب و تاج العروس:الأدب:الذي يتأدب به الأديب من الناس،سمّي به لأنه يأدِب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح، و أصل الأدب: الدعاء و يقول:هو الأدب ملكة تعصم من قام به عمّا يشينه.قال الفيومي في المصباح المنير: أدبته أدباً: علّمته رياضة النفس و محاسن الأخلاق.

لم نجد في العصر الجاهلي ما يدّل على استخدام كلمة الأدب، و إنما نجد اسم الفاعل منها «آداب» أي الداعي إلى الطعام أو صانع المأدبة.(مناع، ٢٠٠٥:ص ٩١)و هذا واضح في قول طرفة العبد.

نَحنُ فِي المشَاةِ نَدعُوا الجَفَلى لا تَرَى الآدابَ فينا ينتَقِر«مِنَ الرملِ.»(نفس المرجع، ص ٩٣)

إذا وقفنا عند المأثور من النصوص الجاهلية:«فلن نجد فيها هذه الكلمة حتى يخيل إلى الناظر أن العرب لم يعرفوها في لغتهم القديمة إلى أن نبغت في عصر الأمويين. و لكن ذلك وحده لا ينفى الكلمة عن العصر الجاهلي، إذا كان من المقرّر الثابت أن الأدب الجاهلي ذاع منه كثير ، و ما بقي وصل إلينا بعد عهد طويل مضطرب بالأحداث الدينية و السياسية و الاجتماعية، و كان وصوله بطريق الرّواية التي إعتمدت على الذاكرة – وهي وثيقة الحفظ– فناله من ذلك نقص و تحوير، و صارت نصوصه الباقية لا تنتهي إلى اليقين، و لاسيما إذا سمحنا لنظرية الانتحال أن تبسط سلطانها على أكثر الأدب الجاهلي، كما يرى جماعة من المستشرقين و بعض الباحثين من الشرقيين.»(الشايب، ١٩٦٤: ص ١)

«و ما يلفت النظر حقّاً أن هذه الكلمة، على خفّتها و فصاحتها، لم ترد في القرآن الكريم على الرغم من ورود معناها في آياته بكثرة، و شدّة إتصالها بأغراضه و موضوعاته، و لعلّ أحداً لا يستطيع أن يقف من القرآن كموقفه من لغة و أدب الجاهليين فيشك في لغته أو نصوصه، إذ لا شك في صحّة روايته عن الرسول عليه (و على آله) الصلاة و السلام، فهل يمكن أن تكون من غير لغة قريش التي نزل بها القرآن، و التي حفظت بها المصاحف في عهد عثمان إلى الآن؟ و هذا لايمكن إيضاً القطع فيه بشيء لأن القرآن لم يستوعب ألفاظ اللغة القرشية جميعاً و كل ما يمكن أن الكلمة لم ترد في القرآن يقيناً، و إن كان ورودها في الأدب الجاهلي موضع شك و ارتياب.»(نفس المرجع، ١٩٦٤: ص ٢)

«لذلك يقف بعض الباحثين من الأقوال المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة و السلام و إلى صحابته، إن ظهور الإسلام موقف التردد و عدم الإطمئنان إذ لا سبيل إلى تحقيق ما صحّ و تواتر أو لم يصحّ منها كقوله عليه الصلاة و السلام: "أدبني ربي، فأحسن تأديبي و ربيت في بني سعد" و غير ذلك، و معنى هذا أن التاريخ القديم لكلمة–أدب– مجهول جهلاً علمياً مادمنا لانظفر بالدليل القاطع أو النص الأول على وجودها.» (نفس المرجع و الصفحة)

يعتقد الدكتور الشايب أن هذه الكلمة أصلها عربية و يقول في هذا الصدد:

«فليس ما يمنعنا هنا أن نقف قليلاً لنلاحظ قبل كلّ شيء إن هذه الكلمة يغلب أن تكون عربية الأصل لوجهين ظاهرين:

أحدهما: وجود أخواتها المشتركات معها في المادة و القريبات منها في المعنى، مثل بدأ، و أبدو و دأب و هي المشتركة جميعاً في معنى التعلق بالشيء و مباشرته. و يندر جدّاً أن ترد هذه الكلمة دون كلمة– أدب– لخفتها و دوران معناها في الحياة العربية الجاهلية، مع تشابهها في المعنى و هذه الأخوات.

الثاني: ما ثبت من عدم ورود هذه الكلمة في اللغات السامية الأخرى كالسريانية و العبرية التي تعد من أخوات العربية و أصولها فرجح أن تكون عربية الأصل و ليست بالدخيلة.»(ن.م،ص٣)

«و هناك من يفرض أن تكون هذه الكلمة دخلت العربية و سائر اللغات السامية من لغة السومريين الذين عمروا جنوبي العراق من أقدم العصور و أخذها عنهم الساميون الكارثون عليهم، و إذ كان معناها عندهم — انسان– و لعلها استحالت بعد من أدب إلى أدم، ثم آدم في اللغات السامية، و احتفظت العربية بالأصل السومري لعزتها النسيبة في الصحراء و استعملته فيما يؤدي معنى الانسانية — أو الآدمية — من كرم الأخلاق و ما يتصل به.» (ن.م، ص ٣)

تعريف الأدب اصطلاحاً:

«يقول إمرسن Emerson،: "الأدب سجل لخير الأفكار" و هذا التعريف كما ترى يصح أن يطلق على الأدب بمعناه العام المعروف لنا الآن الذي يتناول جميع الآثار العقلية التي ينتجها الناس في أية ناحية علمية أو فنية، و أما إذا وضعناه ليدل على مأثور الشعر و النثر كان تعريفاً جامعاً غير مانع. و يقول آخر و لعله الأستاذ ستبفورد برك Stropfordbrooke: "نريد بالأدب أفكار الأذكياء و مشاعرهم مكتوبة بأسلوب يلذ القارئ" و هذا القول قد عني بناحية الجمال في الأداء ليبعث اللذة في نفوس القارئين، و لكنّه كسابقه يسمح للنظريات الهندسية و المسائل الجبرية أن تطرق باب الأدب . الأدب عند سانت بوفSainte beuve،هو الكلام الدقيق الجميل الذي يعبر عن الحقائق الأدبية و العواطف الإنسانية.»(ن.م،ص١٧)

«لاحظ الباحثون في عصر النهضة أن هناك كلاماً يعتمد في تكوينه على الخيال الجميل يقصد إلى إثارة العواطف، و امتناع النفوس كالقصيدة الجيدة و الوصف الرائع، و الخطابة المؤثرة، فسمّوه الأدب بمعناه الخاص إذ كان فنّاً جميلاً كالرّسم و التصوير و الموسيقى . فإنه فن جميل يعبّر عن شخصية الأديب، و يصور عواطفه متوسّلاً إلى ذلك بهذه اللغة الكلامية التي تجمع بين الجمال و الإفصاح، ويتراءى ذلك في الشعر و النثر الأدبي و الخطابة و القصّة و الوصف ونحوها من كلّ ما هو معرض للانفعالات النّفسية.»(ن.م،ص٤١)

أقسام الأدب:

كما ذكرنا آنفاً قد تطور معنى الأدب على مدى الدهر، و عليه نجد أقسام مختلفة للأدب في التاريخ، فنلازم الدكتور الشايب لنعرفها:

«عرف الجاهليون الشعر ولاحظوا ما يختص به من تأثير قوي، عمدته أسلوبه الموسيقى وانفعاله الصادق، فاعتبروه قسماً خاصاً من الكلام أو الأدب. ثمّ عرفوا مع ذلك أو بعده الخطابة و لاحظوا اعتمادها على هيئة الخطيب الجسيمة فوق حجتها الدامغة، و عاطفته الصادقة، عبارتها القوية، فعدّوها قسماً خاصاً آخر من الأدب له موفقه و رجاله، و بين هذين وجد نوع آخر من الكلام لا يلتزم موسيقى الشعر و لا نظام الخطابة، يعتمد على العقل الخاص أو يشرك معه الوجدان و يتناول شؤون الحياة الاجتماعيه و يجمع القصص و الأمثال

و الحكم، فشعروا بأنه نوع ثالث غير هذين القسمين، و هكذا وجد في العصر الجاهلي هذه الأقسام الثلاثة: الشعر، الخطابة، و الحديث، و طبعاً لم يكن الجاهليون يفرقون بينها بهذه الحدود المنطقية و لا الفروق الاصطلاحية الحديثة، و مع هذا فقد كان التقسيم فيما يظهر ، قائماً على ملاحظات ليست أقل في دقتها عن هذه التعاريف و ربّما كانت أساساً لها و خير ما فيها و يقسم البعض الكلام إلى شعر و نثر؛و إنّما يقسمه إلى شعر و خطابة كتابة، ملاحظاً طبيعة هذه الفنون و أساليبها و ما يلابسها من نظام الكتابة هي الحديث عند الجاهليين أو ما يقرّب منه.

عرف العرب إبان ظهور الإسلام الشعر و الخطابة و الحديث و القرآن الكريم، و كلّ منها له خواصه و طبيعته التي يدركونها بعقولهم و أذواقهم و إن لم يدوّنوا ذلك في نظام علمي و لا منطقية.

ثمّ ظهرت الكتابة، و كان التدوين و التأليف لقيد ثمرات القرائح و العقول و تنوّع ذلك ، فكانت منه الرسائل و المقامات، و الفصول، الكتب العلمية، و المترجمات الفارسية و اليونانية و الهندية و لكنها كانت جميعاً من باب واحد هو الكلام المنثور و الفن الذي صار منذ القرن الثاني باباً هاماً جداً من الأدب و سجلاً حافلاً بما أخرجت الحضارة الاسلامية من علوم، و فنون آداب و فلسفات.»(ن.م،ص٤٠)

«في عصر النهضة نظر الباحثون إلى موضوع الأدب، فقسموه على أساسه قسمين إنشائي ووصفي، فإذا كان الكلام معبّراً عن الطبيعة تعبيراً مباشراً كان هو الأدب الإنشائي و ذلك عندما يصوّر العواطف الإنسانية من فرح و حزن و حبّ و بغض و إعجاب و ازدراء فتثير أمثالها في نفوس القرّاء و السامعين أو عندما يصف مشاهد الطبيعة و آثارها من رعد و برق و أمطار ليفسر و يظهر ما فيها من أسباب الجمال و أسرار المعاني و هذا النوع كما ترى ذاتي(Subjective) لأنه معرض لشخصية الانسان حيث نراها أو نرى الحياة.»(ن.م، ص٤٣،٤٤)

٢٦«ثم يعودون فيقسمون الأدب الإنشائي إلى شعر و نثر، و الوصفي إلى نقد أدبي و تاريخ أدب، معتمدين في هذا التقسيم أيضاً على هذه العناصر الأدبية.»(ن.م،ص٤٥)

في الصفحات الآتية سنقدّم تعاريف للأدب الإنشائي و أنواعه، لاقتضاء بحثنا، و للأدب الوصفي.